

تجربة غالولا في العامرية الشعب هو المفتاح

المقدم ديل كوهل، الجيش الأمريكي

أمر جوهري لتمرّد فعال على المدى البعيد وهو في معظم الأحيان احد مراكز الجذب التي يتمتع بها المتمرّدون.¹ لكن استنادا إلى عمليات مكافحة المتمردين لمدة أربعة عشر شهرا في شمال غرب بغداد، بما في ذلك العمليات في حي العامرية السنّي، أعتقد أن مؤلّف 3-FM 24 على حق. وبينما يحتاج البعض أن نهج الجيش في مقاومة التمرّد دوغماتي، فإنني لا أشاطرهم ذلك الرأي. إنني لم أقرأ الدليل الميداني الجديد بكامله لأنه صدر بعد أن تم نشرنا، ومع ذلك استنادا إلى دراستي السابقة لمكافحة التمرّد، اعتقدت ان اكتساب ثقة السكان المحليين كان جوهريا لعملياتنا. لقد صح ذلك على الأقل فيما يتعلق بوحدتنا.

حين عدنا إلى الولايات المتحدة، كان لدي الوقت لأفكر مليا وأدرس عمليات مقاومة التمرّد مسلحا هذه المرة بمستوى التجارب الشخصية. لقد قرأت لأول مرة مؤخرا "حرب مكافحة التمرّد: النظرية والتطبيق" (*Counterinsurgency Warfare: Theory and Practice*) بقلم ديفد غالولا ووجدت انه في الوقت الذي تركّز فيه مقالته على حركات التمرّد الشيعية



الصورة: أحد أبناء العراق في بغداد في منطقة العامرية (الجيش الأمريكي، الرقيب جاك أندروسكي)

جادل نقاد تركيز الجيش على عمليات مكافحة التمرّد (counterinsurgency operations COIN) حديثا على أن الجيش طور نهجا دوغماتيا لمكافحة التمرّد. وهم يشككون بالذات بالتأكيد المبين في الدليل الميداني (24-Field Manual) FM 3 المعنون بـ "مكافحة التمرّد" (*Counterinsurgency*) القائل بأن قدرة المتمردين على إدامة الدعم الشعبي [قضيتهم] أو على الإذعان [لها]

تم تعيين المقدم ديل كوهل، الجيش الأمريكي، في مجموعة العمليات، مركز التدريب الوطني، سكوبيون 07، كبير مدربي الكتيبة للأسلحة الجمعة. تولى سابقا قيادة الكتيبة الأولى الفرسان الخامسة وقاد الكتيبة في عمليات الانتشار في نيو اورليانز في

سبتمبر 2005 بعد أعصار كاترينا وفي بغداد من أكتوبر 2006 إلى يناير 2008. حصل على بكالوريا من الاكاديمية العسكرية الأمريكية والماجستير في الآداب والعلوم العسكرية (MMAS) من قيادة الجيش وكلية الأركان العامة.



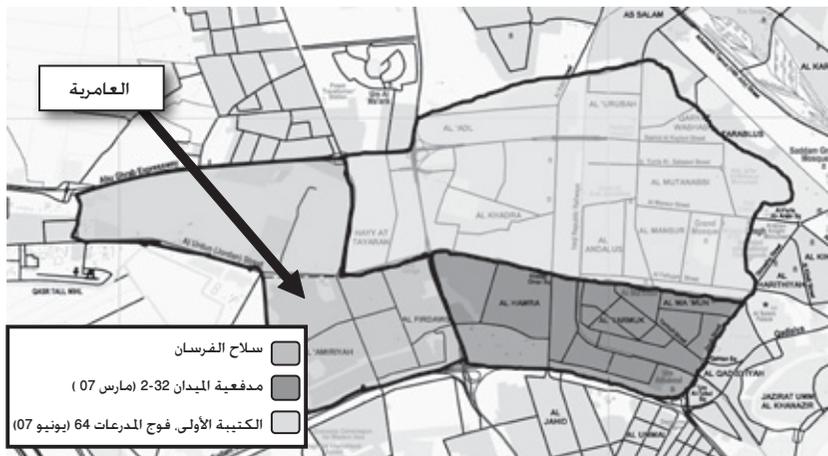
وتلك المعادية للاستعمار فإن الكثير من أفكاره تنطبق على محاربتنا الحالية للتمرد في العراق. ويتفق غالوا مع مؤلفي 3-FM-24 على أن دعم السكان عنصر أساسي لهزيمة المتمردين. ويطرح اربع أسس للقيام بحملة لمكافحة التمرد: إن دعم السكان ضروري لحملة مكافحة التمرد بقدر ما هو ضروري للمتمردين.

الشكل 1: بغداد مع تسليط الضوء على حي المنصور الأمني.³

اكتساب الدعم عن طريق أقلية نشطة. دعم السكان أمر

مشروط. كثافة الجهد واتساع الوسائل أمران جوهريان.² أرسلت الكتيبة الأولى، الفرسان الخامسة، إلى العراق في أكتوبر 2006. وتسلمت في أواخر نوفمبر المسؤولية عن أحياء خضرة والعامرية وطريق المطار من السرب الثامن، الفرسان العاشر. بعد فترة وجيزة من تقل السلطة اتسعت منطقة عملياتنا إلى ثلاثة اضعاف حجمها الأصلي لاحتواء منطقة المنصور الأمنية بكاملها. من معسكر الحرية إلى المنطقة الدولية. وأصبحنا تحت قيادة العقيد ج. ب. بيرتون وفريق خنجر

الكتيبة الثانية. فرقة الفرسان الأولى سرية الهندسة لدينا. زدنا بيرتون بلواء قوات استطلاعية (reconnaissance troop BRT) لها فصيلة واحدة ومقر قيادة للقوات لمساعدتنا في تحديات القوى العاملة. واجهنا خلال الانتشار تحديات محاولة لتلطيف العنف الطائفي الذي يتخلل بيئة عملياتنا. استفدنا من زيادة القوات التي وفرتها الطفرة العسكرية. انطلقنا إلى القطاع مصحوبين بالوحدات الفرعية الأخرى من "لواء الخنجر" لنقيم عددا من المواقع القتالية والمراكز الأمنية



الشكل 2: حي المنصور الأمني.⁴

اللواء القتالي، اللواء الثاني، أول فرقة مشاة، شملت مهمات تنظيمنا فريقين اثنين فقط من سرية المشاة الميكانيكية. فصلنا فصيلتي دبابات ومقر السرية لتخدم كفريق انتقالي عسكري (military transition team MiTT). وألحق فريق سرية واحدة لكتيبة أخرى. كذلك احتفظت كتيبتنا الأم .

العامرية مثلا من "عملية معا إلى الامام" " Operation Together Forward في اغسطس 2006 إلى "عملية ضربة رأس السهم 9" " Operation Arrowhead Strike 9" في أبريل 2007. لكن عاد متمردوا القاعدة بعد كل من هذه العمليات لاننا ما زلنا لم نكتسب بالكامل ثقة السكان. كان المتمردون إما أن يغادروا أو يندمجوا بين السكان حتى ينتقل تركيز القوات إلى موقع آخر. كانت المكاسب سطحية ومؤقتة، وظلت منظمات القاعدة السياسية والعسكرية المحلية سالمة داخل المنطقة.

اردنا فقط أن يثقوا بنا وبالجيش العراقي والحكومة العراقية أكثر من ثقتهم بالمتمردين...

كان المفهوم الكامن وراء هذه العمليات يتفق مع نموذج إخل-احتفظ-ابن المبين في استراتيجية الأمن القومي للنصر في العراق وفي الدليل الميداني 3-24⁶. كان القصد تركيزا كبيرا للقوات الأمريكية وقوات الأمن العراقية (ISF) لإخلاء المتمردين من منطقة معينة عن طريق إجراء عمليات تطويق وتفتيش واسعة وإجراء غارات دقيقة⁷. وعندما تنتقل قوات الإخلاء إلى منطقة أخرى كان على القوة التي بقيت في المنطقة الحلا أن تعتمد بشكل كبير على قوات الأمن العراقية للاحتفاظ بالمنطقة وتوفير الأمن للسكان المحليين وإعادة الوجود الفعال للحكومة العراقية. وبعد استتباب الأمن، كان من المفترض أن نبدأ مشاريع إعادة الإعمار لبناء البنية التحتية وقدرة الحكومة والاقتصاد المحلي وزيادة ثقة السكان المحليين بالحكومة العراقية.

المشتركة. لاحظنا تحسينات مثيرة في الأمن حين حولنا تركيزنا من حول المسؤولية إلى قوات الأمن العراقية (Iraqi Security Forces ISF) إلى تهيئة الظروف لتأمين للسكان. (إن العمل بشكل وثيق مع الجيش العراقي في استمرار هذا التركيز يجعل الانتقال إلى سلطة عراقية شاملة اسهل في المستقبل).

تأمين السكان واكتساب ثقتهم كانا أمران جوهريان. نطلب ذلك جنود منضبطون وقادة نزولا إلى مستوى المجموعة لديها فهم أساسي لمخافة التمرد. لم نركز ضروريا عن اكتساب قلوب وعقول السكان المحليين. بل اردنا فقط أن يثقوا بنا وبالجيش العراقي والحكومة العراقية أكثر من ثقتهم بالمتمردين، الذين كانوا في منطقتنا تحت سيطرة القاعدة في العراق (Al-Qaeda in Iraq AQI). ومع انني لم أقرأ غالولا قبل انتشارنا، عكست العمليات عموما قوانينه الاربعة.

دعم السكان

يجادل غالولا ان جوهر المشكلة لمكافحة التمرد ليس في طرد المتمردين خارج منطقة معينة لأنه يمكن للمتصدي للمتمردين ان دائما تركيزها يكفي من القوة القتالية لإجبارهم على الخروج. ويكمن التحدي في حقيقة أنه حالما ينتهي تركيز القوات يعود المتمردين ما لم يكن المتصدي للمتمردين قادرا على كسب تأييد السكان المحليين. ونتيجة لذلك يكافح المتصدي ضد المتمردين للحصول على هذا الدعم. ويتمتع المسلحون بميزة في هذا الصراع لأن منظمته تستند على القواعد الشعبية grass roots بين الناس⁵.

لقد لاحظنا هذه الظاهرة طوال فترة الحرب في العراق. طاردنا تنظيم القاعدة من معقل إلى معقل آخر. خلال فترة تواجدنا في بغداد تم طرد مسلحي القاعدة من شارع حيفا فانتقل كثير منهم إلى منطقة العامرية. على مدى السنوات العديدة الماضية بذلت محاولات تصفية

حكمت الأقلية النشطة للقاعدة في العراق بالخوف والتخويف. كان النظام الحاجز الذي وضعناه للسيطرة على حركة المتمردين غير فعال إذ كان فيه العديد من الثقوب التي سمحت عمليا بطرق دخول والخروج دون معوقات. لم يثق السكان المحليين في قوات الأمن العراقية التي يسيطر عليها الشيعة حيث شعر السكان بأن تلك قوات كان لها جدول أعمال طائفي. أجبر استهداف

...انفجرت عبوة ناسفة مدفونة تحت برادلي
وقتل ستة جنود ومترجم واحد بينما كنا
نعمل في إقامة هذا المخفر .

القاعدة في العراق لقوات الأمن العراقية تلك القوات على المرابطة في مواقع ثابتة على محيط الحي، مما وفر القليل من الحماية للسكان.

كانت هذه الاستراتيجية قوية. على أننا واجهنا العديد من المشاكل عند تنفيذها. فلكي تكون فعالة، على عمليات الإخلاء أولا الاستناد على استخبارات مفصلة بشكل كافٍ للسماح بالاستهداف الدقيق والغارات الدقيقة. ببساطة لم يكن لدينا هذا المستوى من الخبايا. لذلك كانت عمليات الإخلاء التي قمنا بها أداة فظة كان لها القليل من الأثر طويل الأجل على نشاط المتمردين. لقد عطلت العمليات نشاط المتمردين طوال تواجد قوة الإخلاء لكنها لم تؤثر على البنية التحتية المترسخة للمتمردين. ثانيا، بكل بساطة لم تكن قوة الاحتفاظ قادرة على توفير الأمن للسكان. لم يكن لدينا ما يكفي من القوات الأمريكية. ولم يثق السكان السنينيون المحليون في المقام الأول بكتيبة الجيش العراقي لهيمنة الشيعة مهيمنه الشيعة عليها. أخيرا، كنا غير قادرين على ضمان أمن السكان وغير فعالين في المضي قدما في المشاريع المدنية.

الدعم عن طريق أقلية نشطة

إن التحدي الذي تواجهه مكافحة المتمردين هو كيفية اكتساب دعم السكان. لا تبحث مكافحة المتمردين عن دعم سلبي أو معنوي مجرد. بل الدعم النشط في محاربة المتمردين. يجادل غالولا ان هذا الدعم يأتي من معتقد اساسي في ممارسة السلطة السياسية: في أي وضع، ومهما كانت القضية، ستكون هناك أقلية نشطة تدعم القضية وغالبية محايدة وأقلية نشطة ضد القضية.

لكسب التأييد لقضيتك، يجب أن تعتمد على الأقلية المواتية من أجل حشد الغالبية المحايدة وحييد أو القضاء على الأقلية المعادية.⁸

واجهنا تحديات كثيرة في العامرية. في الحقيقة كان تنظيم القاعدة في العراق يسيطر على الأحياء. وفي الوقت الذي لم تدعم فيه غالبية السكان نشاطها.



المباني التي بضررت من القتال في العامرية في مايو/يونيو 2007.

ثقة المواطنين. اتفقنا على منطقة في الجزء الشمالي الغربي من منطقة العامرية على الرغم من انه لم يكن المكان الأمثل. في 19 مايو انفجرت عبوة ناسفة مدفونة تحت برادلي وقتلت ستة جنود و مترجم واحد بينما كنا نعمل في إقامة هذا المخفر.

كان ردنا على هذه الكارثة حاسما في كسب تأييد أقلية نشطة في المجتمع المحلي. فتحالفنا معنا ومع الجيش العراقي لهزيمة القاعدة في العراق. في حجم الأقلية بعد وقت بشكل هائل وأدى إلى حصولنا على ثقة الغالبية المحايدة.

بعد عودتي إلى مقرى القيادي في تلك الليلة اتصلت بأحد أئمة المساجد المحلية وطلبت دعمه لمساعدتنا في اخراج القاعدة من الحي. كنت على يقين من أن الأئمة المحليين يعرفون من الذي يقف وراء أعمال العنف. لكنني أعلم أيضا أنهم يخافون تنظيم القاعدة. اعتبارا من فبراير اخذت لقاءاتنا مع الأئمة طابع السرية. طلبوا مني ألا أجتمع معهم إلا في أوقات معينة في وقت متأخر من المساء. وجادلت بأن رجالي كانوا يعانون وأنني كنت أعرف أن هؤلاء القادة المحليين لديهم معلومات كنا في

في مايو 2007 بعد الانتهاء من عمليات الإخلاء خلال "ضربة رأس السهم 9" أصبحت العامرية مكانا عنيفا للغاية. وحيث كان الجيش العراقي فعليا خارج الصورة. وجه تنظيم القاعدة في العراق عملياته ضد الولايات المتحدة والسكان المحليين. أحدثت القنابل الإرشالية المتفجرة (IEDs) المدفونة عميقا أثرها في ثلاث انفجارات كبيرة في أيار فأودت بحياة خمسة جنود و مترجم واحد. كما أننا شهدنا زيادة في نيران الأسلحة الصغيرة التي قتل فيها جندي آخر. وبسبب التهديد المتزايد سحبت قوة قتالية من أجزاء أخرى من منطقة عمليات الكتيبة في المنصور من أجل التركيز على منطقة العامرية. كما أنني طلبت وتلقيت سرية سترايكر. المشاة 23-A/1.

سمحت لنا القوة القتالية الإضافية زيادة الدوريات في منطقة العامرية. قللنا عدد عمليات تطويق وفتيش المنازل السكنية واسعة النطاق. وبدلا من ذلك استهدفنا على وجه التحديد المناطق التي قيل ان القاعدة في العراق تلتقي فيها أو توزع فيها الأدبيات والأقراص المدمجة. وقد واصلنا تحسين نظام الحاجز حول الحي. باستخدام هذه المرة عوائق طول الواحد منها ستة

أقدام ووضعناها بعيدا عن المنازل. شكلت الهياكل الجديدة حاجزا أكثر تماسكا ضد تحركات المتمردين. مانعا تدفق الأسلحة والدخائر والمتفجرات. ونفذ الجيش العراقي حظرا للتجول التقييدي ومنع حركات السيارات.

بحثنا لعدة أشهر عن مكان داخل العامرية لإقامة مخفر قتالي دائم. كنا قد اقمنا مخافر غيرها في جميع أنحاء منطقة عمليات الكتيبة في منطقة أمن حي المنصور و اثبتت فعاليتها في مساعدتنا على فهم أفضل للسكان المحليين وفي كسب

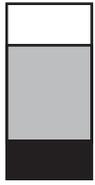


الجواجز في نقطة مراقبة للدخول في العامرية. ديسمبر 2007.

استخدم الإمام مكبر الصوت في مسجده لدعوة الناس لمهاجمة القاعدة في العراق ودعم قوات التحالف. خرج العشرات من الرجال يحملون بنادق AK-47 ورشاشات إلى الشوارع لتأمين حيهم. لم نطلق النار لأنه لم يمثل أحد من هؤلاء الرجال تهديدا لتشكيلات قواتنا. اتصل بي الإمام في تلك الليلة منتشيا بالنجاح الذي حققه العراقيون. وادعى أنهم قد أخلوا ثلثي العامرية. كنا متفائلين بحذر.

كان اليوم التالي قصة مختلفة. شنت القاعدة في العراق هجوما مضادا مجبرة المقاتلين المحليين على التقهقر إلى معقلين حول مسجدين. بدأت في الحصول على تقارير عن الموقف من جنودي، وكان الإمام يتصل بي كل خمس أو عشر دقائق ليؤافيني بأخر المستجدات. يس عندما انسحب رجاله إلى مسجده وطلب منا

في أي وضع، ومهما كانت القضية، ستكون هناك



أقلية نشطة تدعم القضية.

وغالبية محايدة أو سلبية.

وأقلية نشطة ضد القضية.

الشكل 3. التأييد للتمرد.

المساعدة. أمرت فصيلي سترايكر بقيادة النقيب كيفين سالج للذهاب لمساعدة العراقيين. كان توقيت توجه الفصيلين للعبور مناسب تماما. حبيث أوقفوا تقدم القاعدة واقاموا محيطا آمنا للسماح لأصدقائنا الجدد بالنقاط أنفاسهم. كان المسجد في فوضى لتناثر الزجاج المكسر ونيران الأسلحة الخفيفة والقذائف الصاروخية (RPGs). تناثرت جثث القتلى والجرحى على أرضية الحرم. اتصل بي الإمام الرائد في العامرية لعقد اجتماع رسمي مع زعيم المقاتلين العراقيين. لم نكن نعرف حتى تلك الحين من الذي كان يوجه العمليات المحلية. لم

حاجة إليها. كان غير معروف لي في ذلك الوقت أن رجل الدين هذا بالذات كان بالفعل جزءا من الأقلية المعارضة لتنظيم القاعدة في العراق. سوف ينكشف هذا الجهد قريبا للعموم.

كما كان حاسما أيضا ما لم نفعله. كان الضباط وضباط الصف يشعرون بالإحباط لزيادة أعمال العنف وعدم قدرتنا على تحديد عدونا بشكل إيجابي واستهداف شبكته. شمل التذمر في الصفوف الحديث عن القيام بـ"فلوجة". بمعنى عملية إخلاء واسعة النطاق مع التأكيد بشدة على قوة النيران. واصلت التأكيد على ضرورة ضبط النفس والعمليات المركزة والتعامل مع السكان المحليين بكرامة وإحترام. لم يكن ضبط النفس شعبيا. لكن سيطر قادة الكتيبة على جنودهم وحافظوا على انضباطهم. بعد مضي عدة أشهر وبينما كنا نستعد لإعادة الانتشار قال الإمام القيادي، وهو المواطن الأكثر نفوذا في العامرية أن كان ضبط النفس لدينا المفتاح لكسب ثقة الشعب.

في مساء يوم 29 مايو حصلت على الجواب من الإمام الذي كنت قد حدثت إليه بعد تدمير البرادلي. قال لي ان السكان المحليين كانوا سيلاحقون القاعدة في العراق في اليوم التالي. بالإضافة إلى استهداف الجنود الأمريكيين قد زادت القاعدة من الضغط على الشعب العراقي وأن صبرهم قد نفذ. جادلنا لحوالي 20 دقيقة حيث حاولت اقناعه بإعطائنا المعلومات وترك أمر التعامل مع الأهداف لنا. ولكنه أصر على أن على العراقيين فعل ذلك. لم يكن يطلب الحصول على إذن للعمل. كانوا في طريقهم لمهاجمة القاعدة في العراق سواء وافقت أم لا. طلبت منه ضمان ان رجاله لن يهددوا جنودي أو المدنيين غير المسلحين. وإلا سنطلق عليهم النار. ثم تمنيت له حظا سعيدا. عدلنا قواعد الاشتباك في اليوم التالي وانتظرنا ما سيحدث.

كان اليوم التالي محوريا. هاجم السكان المحليون وقتلوا عددا من زعماء القاعدة في العراق في العامرية.

أقلية نشطة أمر ضروري صحتها بالنسبة لنا⁹ لم يؤد استخدام قوة تهيمن عليها الشيعة لتوفير الأمن إلا إلى تعزيز أحد الأسباب الرئيسية للتمرد السني: عدم وجود فرص للسنة ليصبحوا جزءا من القوة الأمنية المشروعة. ان أبو عابد ورجاله الأقلية النشطة التي احتجنا إليها. وقد هاجموا الأساس للتمرد¹⁰.

لم يكن [الإمام] يطلب الحصول على إذن للعمل. كانوا في طريقهم لمهاجمة القاعدة في العراق سواء وافقت أم لا. طلبت منه ضمان ان رجاله لن يهددوا جنودي...

الدعم الشعبي المشروط

يجادل غالولا بأن الأقلية المعادية للتمرد لن تظهر طالما أن التهديد لم يتم خفضه بشكل معقول. وحتى في حال ظهور مثل هذه الأقلية فلن تكون قادرة على حشد باقي السكان إلا إذا كانوا مقتنعين بأن المتصدى لديه الإرادة والوسائل والقدرة على الفوز. علاوة على ذلك، فإن من المستحيل القيام بالإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية طالما ان التمردين يسيطرون على السكان¹¹.

شاهدنا كل هذه التحديات في العامرية. ما زلت غير متأكد من السبب الذي دفع أبو عابد ورجاله إلى التقدم إلى الأمام عندما فعلوا. إن جزءاً من الجواب يكمن من دون شك في الأساليب الوحشية التي استخدمتها القاعدة في العراق للسيطرة على الجماهير بما في ذلك عمليات الخطف والتعذيب والقتل. علاوة على ذلك أعاقت القاعدة في العراق بنشاط أي تحسينات على المجتمع المحلي. معطلة الخدمات الأساسية كجمع النفايات وإصلاح المجاري وتوزيع الغاز والبروبان والكبروسين الذي تكثر الحاجة اليه. وأظن

يسر لقائي الأول مع الرجل ابو عابد على ما يرام. كان من الواضح انه كان مرهقا. فتقدم بمطالب لم أكن مرتاحا لها. التقينا مرة أخرى في الليلة التالية. وتوصلنا بعد عناء إلى اتفاق حول كيفية التعاون لهزيمة عدونا المشترك. كانت علاقتنا مؤقتة في البداية لكن مع مرور الوقت بدأنا نثق ببعضنا البعض بعد أن رأينا النتائج الإيجابية للعمل معا. تأكد العراقيون أننا كنا ملتزمين بحماية حيهم.

يصرح غالولا أن مكافحة التمرد الذي يرفض الالتزام ومتابعة القانون الثاني له (اكتساب الدعم عن طريق أقلية نشطة) والذي يلتزم بقيود زمن السلم سيطيل أمد الحرب ولن يقترب من النصر. كان التحدي الذي واجهناه هو أن قوات الأمن في المنطقة نُظر إليهم كمحتلين رغم أنهم كانوا أيضا عراقيين. كان معظمهم من الشيعة وهم يميلين إلى استخدام القوة المفرطة. وما عَمَد الأمور هو أن السكان المحليين كانوا يخافون من أي قوة متصلة بوزارة الداخلية (Ministry of Interior MOI). وقد اعتقلت الشرطة الوطنية العشرات من الرجال دون عشوائيا وأنها لم تعط المزيد عن مصيرهم. ذكر أيضا أن أعضاء في وزارة الداخلية قد سلبوا المصرف المحلي. أثبتت حجة غالولا بأن الحصول على الدعم من



النقيب كيفين سالج (على الجانب الأيسر) مخططا مهمة مع أبو عابد (جالسا على اليمين)، يونيو 2007.

المحلين إلى القاعدة في العراق لحماية أحيائهم من جيش المهدي، ولكنهم ندموا لهذا القرار. لقد وفر التزامنا بوقف توسع جيش المهدي للسكان المحليين بديلاً آخر. لم يرق القمع الذي كانت ترتكبه القاعدة في العراق وهدفها السياسي لإقامة الخلافة للسكان المحليين أو المجموعات المتمردة المحلية. كان السكان المحليون بصفة عامة متعلمين جيداً وأكثر علمانية في توقعاتهم. حتى الأئمة تحدثوا عن ضرورة تشكيل حكومة علمانية بدلاً من حكومة تديرها الأحزاب الدينية. اعترف زعماء أقليات مرموقين بالتزامنا. على الرغم من زيادة العنف في العامرية لأنه، بالرغم من خسائرننا، واصلنا البناء.

أقنعت زيادة عدد الدوريات مع العديد من السرايا النشطة في الحي السكان بأننا لن نترك. تحسين الحواجز وفرض حظر التجول والقيود المفروضة على قيادة السيارات جعل التنقل أكثر صعوبة لناشطي القاعدة وعزلهم عن السكان. وبزيادة المعلومات الاختبارية اكتشفنا الأنماط المعقدة لعمليات القاعدة وعطلنا اجتماعاتها. أخيراً منع الرد المنضبط من جنودنا على الخسائر التي عانوها السكان غير الملتزمين من التحول ضدنا.

في يوم 30 مايو تفجرت انتفاضة شعبية جلبت عشرات الرجال إلى الشوارع عندما أطلق أبو عابد الطلقة الأولى. ما أسفر عن مقتل زعيم بارز من القاعدة في العراق في المنطقة. ومع ذلك تسبب رد فعل القاعدة في العراق العنيف في أن يتوارى الكثيرون عن الانظار. عندما جئنا للمساعدة، كان لدى أبو عابد حوالي نصف دزينة من الرجال المكرسين فقط. وارتفع العدد إلى نحو 30 في غضون أيام قليلة، لكنها كانت لا تزال مجموعة صغيرة. كان الجزء الأكبر من السكان لا يزال غير مقتنع. وعلى مدى الشهرين ونصف

أن أبو عابد وأتباعه تقدموا نحونا بسبب الالتزام الذي قطعناه للمجتمع. ففي فبراير 2007 في اجتماع مع قادة المجتمع المحلي قلت لهم أننا كنا ملتزمين بهزيمة القاعدة في العراق وحماية العامرية من الميليشيات الشيعية.

يجادل غالوا بأن أقلية التي معاد للمتمردين لن تظهر طالما أن التهديد لم يتم خفض بشكل معقول.

شاهد الناس كيف سيطر جيش المهدي (Jaysh al-Mahdi JAM) على الحرية في يناير. كما شاهدوا توسع جيش المهدي إلى الجنوب في حي العامل والجهاد، مما زود القاعدة في العراق بأداة تجنيد كبيرة. انضم المتمررون



الملعب في العامرية، ديسمبر 2007. كان هذا الميدان يسمى "ساحة إسقاط الأموات" نظراً لكثرة عدد الجثث التي خلفتها القاعدة.

وفي الحقيقة كان لدينا بعض الحوادث التي كان علينا التعامل معها، ولكن تلقينا عددا أقل من الشكاوى حول الفرسان بما تلقينا حول الجيش العراقي. وعندما حققنا بالشكاوى ضد الفرسان وجدنا مبررا لبعضها. وهكذا فإننا ضبطنا عدة أعضاء واعتقلنا بعضهم.

تلقينا شكاوى ماثلة أيضا حول جنود الجيش العراقي في المنطقة. قمنا بتعيين مجموعة متنوعة من قادة الجيش العراقي. تطابق عدد الشكاوى مباشرة مع نوعية القيادة للجيش القراقي. وجدنا أن عدد الشكاوى قد

في يوم 30 مايو تفجرت انتفاضة شعبية عندما أطلق أبو عابد الطلقة الأولى، ما أسفر عن مقتل زعيم بارز من القاعدة في العراق في المنطقة...

انخفض بشكل ملحوظ عندما كنا نقوم بعمليات مع جميع القوى الثلاث معا. وزاد هذا من ثقة السكان وعزل المتمردين عنهم.



مقاتلي فرسان الرافدين على برادلي

المقبلين عملنا بشكل وثيق مع هذه المجموعة الصغيرة من المقاتلين والجيش العراقي للسيطرة على السكان. ومن خلال الاستهداف الفناك والدقة انتزعنا السيطرة من القاعدة في العراق.

مررنا بتغييرات مختلفة لإسم المجموعة، ورسونا على فرسان الرافدين أو "فرسان أرض بلاد ما بين الرافدين". خلال فترة تواجدها في بغداد كانوا معروفين بشكل عام أكثر باسم "المواطنين المحليين المعنيين". الذي تغير منذ ذلك الحين لـ "أبناء العراق". زاد عدد المتطوعين كلما شاهد الناس النجاح. قارب العدد في الشهر الأول حوالي 30. ولكن عندما وقعنا عقد أمن معهم بعد 3 أشهر. كان لدينا ما يقرب من 300 من الرجال. حارب هؤلاء الرجال وقتلوا في بعض الحالات من دون أن يدفع لهم رواتب لأكثر من ثلاثة أشهر. جادل الكثيرون بأن السبب الوحيد لمجئ أهل السنة إلى جانبنا هو أننا كنا ندفع لهم. كان هذا الزعم غير دقيق في منطقتنا.

أنشأنا في وقت مبكر خلية بقيادة النقيب داستن ميتشيل قائد لواء القوات الاستطلاعية E/4 للعمل مع الفرسان على أساس يومي. خدم هؤلاء الرجال كمستشارين من الفريق الانتقالي العسكري لأبي عابد. يزودونه بالنصيحة حول كيفية الانتقال من مشرف على وحدة صغيرة إلى كونه زعيما لمنظمة كبيرة. وعندما أعاد ميتشيل وجماعته الانتشار. أنشأنا سرية مؤقتة بقيادة النقيب إريك كوسبر. ضابط دعم النار لدي لاستمرار العلاقة الوثيقة مع الفرسان.

وعندما واصلنا العمل مع الفرسان. وجدنا أن كلا من كتيبتنا وكتيبة الجيش العراقي اكتسب شرعية لدى السكان المحليين. لقد عملنا على معالجة الكثير من المسائل معهم. بما في ذلك الشكاوى من التخويف والنشاط الإجرامي. كانت بعض التقارير التي تلقيناها جزءا من حملة عملية تضليل نشطة من قبل القاعدة في العراق وغيرها سعيا لتشويه سمعة أبو عابد والفرسان.

أدت جهود هذه الكتائب أيضا في تعطيل قدرة القاعدة في العراق على التحرك بحرية وحرمتها من القدرة على إعادة إنشاء نفسها في مناطق أخرى. وإلى الشمال منا أوقفت بشكل فعال عمليات سلاح الفرسان 2-12 والمشاة المحمولة جوا 1-325 توسع جيش المهدي، بينما انتزع سلاح الفرسان 2-12 السيطرة على جنوب الغزالية من القاعدة.

وبينما لم تكن بالضرورة مصممة لدعم جهودنا، ساعدت الجهود التي بذل فريق اللواء القتالي الثاني في فرقة المشاة الأولى على تعزيز التزامنا تجاه شعب العامرية. كانت خطة حملة العقيد بيرتون وموظفيه بسيطة لكنها فعالة: التركيز على وقف توسع الشيعة المتطرفة وهزيمة القاعدة في العراق. لقد أعطى قاداته المرونة للتعامل مع التحديات الفريدة من نوعها بالنحو الذي يروونه مناسباً. ضمن موظفوه لنا تلقي الموارد اللازمة لتابعة المكاسب الأمنية مع تحسين الخدمات والمشاريع لتحسين البنية التحتية. مكنت الطفرة العسكرية القيام بمثل هذه الجهود وتم تنفيذها من خلال خطة شاملة حملت لواء الأمل للمواطنين المحليين الذين بدأوا بالاعتقاد في نهاية المطاف بأن لدينا القدرة على الفوز. وقد أدى الأمل إلى زيادة عدد الأشخاص الذين كانوا على استعداد لتقديم الدعم لنا صراحة في جهودنا لهزيمة القاعدة، وبالتالي زادت صفوف الفرسان زيادة أسية.

الاستنتاج

كان أساس نجاحنا في العامرية الجنود المنضبطين الذين تصرفوا مع ضبط النفس في مواجهة الشدائد وقادة على مستوى الجماعة الذين فهموا أننا في حاجة إلى تأييد السكان المحليين لهزيمة القاعدة. بنينا على علاقات وجّاح للجنود الذين ذهبوا قبلنا ونقلنا تلك الصبر بقدر ما يمكن للجنود الذين تبعونا. كان تنمية ثقة السكان المحليين أمر ضروري. ولبناء تلك الثقة كان علينا

كان ظهور أبو عابد كزعيم للأقلية المكافحة للتمرد فعلا من الشجاعة والأيمان. كانت لديه الشجاعة ليتقدم نحونا على الرغم من أننا لم نفعّل شيئاً يذكر للحد من التهديد الذي يجادل غالوا بأن من الضروري حده لدفع هذه الأقلية أن تأتي إلى الأمام. ومع ذلك كان له والأئمة الذين أيده الإيمان في جهودنا لدعمهم، ورأوا أن الوقت قد حان. وكان النمو بطيئاً. كانت الغالبية العظمى من السكان لا تزال غير مقتنعة بأن لدينا الإرادة والوسائل والقدرة للفوز. ومع ذلك كلما نمى أعداد أولئك المعادين لحركة التمرد. وتضخمت صفوف المتطوعين للفرسان. وأصبحوا الأبطال المحليين ليخطوا إلى الأمام. وأصبحت الجماهير بصفة عامة أكثر ثقة. وبدأوا التنديد علنا بالقاعدة وإظهار التأييد للجهود التي بذلناها. زادت الشراكة التي شكلناها مع الفرسان والجيش العراقي شرعية الحكومة العراقية. ومهد الأمن الذي تم إنشاؤه الطريق للتنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية.¹²

كثافة الجهود واتساع الوسائل

يجادل غالوا بأن العمليات اللازمة لتخفيف تهديد السكان من المتمردين يجب أن تكون مكثفة في طبيعتها ولفترة طويلة. ولا يمكننا تخفيف الجهد المتصدى للتمرد بتوزيعه في جميع أنحاء البلاد. يجب علينا أن نطبقه من منطقة إلى أخرى.¹³ في النهاية منحت لنا الطفرة العسكرية بعدد القوات العام المتصرم وتركيزها في بغداد القدرة القتالية اللازمة ليكون لها أثر دائم. وبدون زيادة الكتبتين في منطقة عملياتنا وزيادة الأخرى في منطقة اهتمامنا. لم يكن النجاح الذي أحرزناه ممكناً. سمحت لنا إضافة مدفعية الميدان 2-32 والمدركات 1-64 إلى حي المنصور الأمني أن تركز جهودنا في العامرية. انخفض عدد مجالات النفوذ والوحدات العراقية المشاركة في عملنا إلى مستوى يمكن السيطرة عليه.

لقد أدركت أن اكتساب ثقة السكان المحليين يعتبر مركز ثقل لعملياتنا وعمليات المتمردين. وبينما كنت أملك الوسائل لاتباع نهج أكثر فتكا، اعتقدت أن هذا سيؤدي إلى نتائج عكسية وسيكون فقط سلاحا في أيدي أعدائنا على حساب الجماهير. لم نكن قادرين على كسب ثقة السكان المحليين حتى تمكننا من اقناع المعادين للمتمردين على التقدم نحونا. أدى الأمن الذي ترسخ إلى دعم السكان لنا عندما رأوا أنه كانت لدينا الإرادة والوسائل والقدرة على الفوز. أخيرا كان علينا أن نركز جهودنا على منطقة العامرية لتطهير المنطقة. سمحت الطفرة العسكرية في عدد القوات لنا على تركيز جهود كتيبة بأكملها في المنطقة لفترة ممتدة. ثم أننا كنا قادرين على توفير الموارد الأخرى لبناء البنية التحتية المحلية والاقتصاد لتوفيرا قدر أكبر من الشرعية للحكومة العراقية. تظهر جهودنا بالعمل مع الجيش العراقي والفرسان والشعب بالعامرية صلاحية حجج غالولا لعمليات الجيش الأمريكي في العراق.¹⁴

أن نظهر أننا ملتزمين بسلامتهم. ولكي نكون فعالين كان علينا أن نثق بالسكان المحليين الذين تقدموا نحونا للقتال إلى جانبنا وجانب الجيش العراقي لهزيمة القاعدة. وكانت النتائج مثيرة. ولم نتعرض لأي هجمات كبيرة على الكتيبة في العامرية من 7 أغسطس حتى غادرنا في 2 يناير. ووقع آخر هجوم بقذائف الهاون على الحي في يوليو. وانخفضت عمليات القتل والاختطاف من حوالي 30 في الشهر إلى 4 فقط في النصف الأخير من العام. فتح أكثر من مئتي متجر بحلول الوقت الذي اعدنا فيه انتشارنا. ضغط نجاح عملياتنا أيضا على الحكومة العراقية لتقديم الخدمات داخل المجتمع. والتحرك نحو المصالحة بقبول السنة في قوات الشرطة العراقية. تطلب نجاح التفاني القوي من جانب الجنود والقادة فضلا عن الوقت والصبر. وما أن اتضحت المكاسب الأمنية، حتى تمكننا من تحقيق تحسن ملحوظ في نوعية الحياة للمواطنين في العامرية. بناءا على تجربتنا، يبدو أن غالولا محق في التأكيد بأن اكتساب تأييد السكان أمر ضروري للمتصدي للمتمردين.

الحواشي

1. الدائرة العسكرية، دليل الميدان 4-23، مكافحة المتمردين (واشنطن العاصمة: مكتب الطباعة الحكومية [GPO]، 2006)، 3-13.
2. ديفد غالولا، حرب مكافحة التمرد (وستبورت في ولاية كونيتيكت، بريغر الأمن الدولي، 2006)، 55-52.
3. مكتب الاستخبارات الجيوقضائية القومي، بغداد (واشنطن العاصمة: GPO، 2006)، متوفر في جامعة تكساس في أوستن، مكتبة خريطة جمع بيري كاستانيدا، www.lib.utexas.edu/maps/middle_east_and_asia/baghdad_nima_2006.jpg (1 سبتمبر 2008).
4. نفس المرجع، كانت مدفعية الميدان 2-32 من أولى وحدات الطفرة العسكرية التي تصل إلى بغداد وتولت السيطرة على أحياء حطين واليرموك، مارس 2007. وصلت الكتيبة الأولى، فوج المدرعات 64 في يونيو وتولى المسؤولية عن المنطقة المتبقية من المنصور باستثناء منطقة العامرية والبكري التي سيطر عليها سلاح الفرسان 5-1.
5. غالولا، 52.
6. مجلس الأمن القومي، الاستراتيجية الوطنية للنصر في العراق (واشنطن العاصمة: GPO، 2005)، 18-19، <www.whitehouse.gov/infocus/iraq/iraq_strategy_nov2005.html> (1 سبتمبر 2008).
7. دليل ميداني 4-23.
8. غالولا، 53.
9. نفس المرجع، 53.
10. الدليل الميداني 4-23، الشكل 1-2: التأييد للمتمردين، 1-20.
11. غالولا، 54.
12. نفس المرجع، 54.
13. نفس المرجع، 55.
14. نفس المرجع، 55-52.

Testing Galula in Ameriyah: the People are the Key

Lieutenant Colonel Dale Kuehl, U.S. Army

Originally published in the English March-April 2009 Edition.